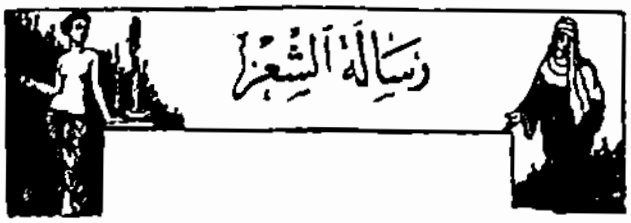

كفارة الدموع

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

الإهداء ...

« زينب » يا تسبيحة الطيوب يا همسة الحبيب للحبيب
ويا خشوع الحب فى القلوب
هواك لى ، كفارة الذنوب عطر أوتارى ، وندى كوبى

* * *

« زينب » يا عطر الهوى الحبيب
يا فرحة فى قلبى الكئيب
وواحة فى عالى الجديب
رحماك ، هز نضمين للوجيب من شعرى المخنوق بالنحيب

* * *

كفاك ما تكأت من ندوبى وما جنى الجمال من تعذيبى
فنضرى الحياة للغريب
ونورى ما اظلم من دروبى
يا فجر حب ليس بالكذوب

* * *

النداء ...

هى الخمر ضاحكة تسكب تلالا كما لألأ الكوكب
ينور فى الكأس ياقوتها فينداح من نورها الشهب
وتعبق فى الحان أنفاسها كما يعبق النرجس الطيب
إذا شمشمت أطلعت أنجما من الدر أضواؤه تخلب
وحف بها حبب راقص شبيه من الماس أو يقرب
يطوق من جيدها عاطلا تزان به كما تحكب
كعقد من الدرر الغاليات تحلت به كاعب ربرب

* * *

ثكلت شبابى العارى الإهاب إذا أنا للكأس لا أطرب
ولم تنتفض فى عروق الدماء ولم يرتعش جسدى المتعب
ولم أحتفل بالكؤوس الدهاق كما يحتفى بالصغار الأب
ثكلت شبابى ، أأستافها عبيراً يفوح ولا أشرب
وأبصرها فوق ثغر النديم شهابا وسرعان ما يثرب
يقبلها - يا لبؤس الجمال - قبيح ، ويحضنها أشيب
تطوف ويتعب عشاقها من السهد ليلا ولا تتعب
عروس تتيه على الخاطبين وتأبى ، ومن عجب ، تئيب
تقهقه إما تميل الرءوس وتسخر من عاشق ينحب
تدور على فتية مترفين صباح ، يزان بهم ملعب
كما دار فى أفقه مشرق من النجم أطلعه المغرب

* * *

أأندب عمراً كنبع يفيض بأفراحه وهو لا ينضب ؟!
أأندب ؟ يا شؤم هذى الحياة إذا كان مثلى من يندب
وأى صداح هذى الرياض وغريدها الباسم المطرب
سأضحك عمرى لا أنحب وللموت ، للقبر من ينحب
على أى شئ أذيل الدموع وأعصر جفنى أو أحلب
وفيم البكاء على مقفر من الحلم هل يمرع السبسب ؟!
أأبكى على مأمل ضائع تولى وقد لفه غيهب ؟!
وأنسى غداً وهو فجر يلوح لمن بات فى ليله يرقب
سأغلى دموعى وإن ضامنى زمان بأصحابه قلب

* * *

أجوع وهذى ثمار الفتون تصيح على الجائعين انهبوا ؟
وأظما وسلسال نبع الجمال يغص به كل من يشرب ؟
عرائس من ناضجات الجنى ينوء بها الثمر الطيب
تدلت عناقيدها واستوت على سوقها فتنة تخلب
يجن ببهجتها الناظرون ويبهرهم حسنها المغرب
تمنيت لو كنت ناطورها وهيهات هيهات ما أطلب
دعى وشعورى وزهو الصبا إلى قدسها بعض ما أوهب
أطوف بمحرابها خاشعا وأهفو إليها ولا أقرب
لمن فجر الله هذى العيون إذا أنا عن وردها أنكب
مآرب كم حققت فى الخيال وفى الصحو ما حقق المأرب
ولو وهب الحسن لى قلبه لأفنيت عمرى له أدأب

* * *

تباركت يارب ، هذا الجمال صداك ، إليك به ، أقرب

عبدتك فيه ولكنه جفاني ، وخلفني أندب
وأوصد دوني بستانه كأني في ساحه مذنب
أأطرد عن هيكل لم يزل فؤادي على بابه يشعب ؟!
أحبي جرم .. وهبني أسأت أما آن أن يصفح العتب ؟
رضيت هواني في عزه وكل عذابي به يعذب
وأني فراشة نور الجمال وهيهات عن ناره أهرب

* * *

أأهوى الجمال وأشقى به ولم أحظ يوما بما أطلب
كأن لم أذوب على جمره فؤاداً بأشواقه يلهب
ولم أنفث الشعر ملء الحياة أغاريد أصداؤها تطرب
ولم أرسل الرقصات الحسان سواحر حسادها تتعب
علام أذاد ، ويحظى به سواي وقد ضاق بي المذهب
وأني هزار الهوى والشباب وقيثاره المبدع المطرب
وقد فجر الحسن في مهجتي . معيناً من اللحن لا ينضب

* * *

سألتك بالسحر في الفاترات عيون الظباء لها تنسب
وبالجيد الرخص إما انثنى وماد على رقمه المنكب
وبالمائجات عبير الصبا نواهد قد زفها الوكب
وبالمرسلات نجاوى القلوب أحاديث يشتاقها المعجب
ألا واحة في هجير الحياة يموت بها الظمأ اللهب
أفيء إلى ظلها والهاً فأنسى خطوباً بها أنصب
وأخلع عن عاتق الهموم وما ينشر الدهر أو يسحب
خلي الفؤاد من الؤلمات فلا ما يسيء وما يتعب
كطفل سعيد بأعوامه وآماله أبداً يلعب
وقد واكبته طيوف الهنا وهش له الزمن الطيب
ولا كدرت صفو أحلامه ليال ولا ونق المشرب

* * *

حياتي ، بعد جفاف الفؤاد فراغ يشابهه السبسب
يموت به المرح المستطاب ويحيا به الهدم الرعب
ويستيقظ اليأس من حوعه ويصرخ جرح الظما اللهب
فلا اللهو رف على روضه ولا طاف في أفقه كوكب
ولا غازلته طيوف المنى ولامسه الأمل المصيب
لقد غاض فيه معين الشباب وجف به روضه المعشب
يمر عليه الربيع الضحوك فيفزع منه ولا يقرب
كمقبرة ... ، مالأ صدائها عجيب ، ولا يومها ينعب
جفتها الظنون فلا هاجس يمر ، ولا شبح يسرب
سوى الدور جال بأحمائها ونام على بابها العقرب

* * *

فؤادي بعد جفاء الحبيب يباب .. وهل يمرع الجدب ؟!
وكيف سيزكو الرياض التي جفاها غمام الهوى الصيب
عزاءك يا قلب بالذكريات فتهن توتك والمشرب
وصبراً إذا ملك الآفرون وخان هواك الذي يحدب
وداو جراحات حب عفا وأقفر روض له مخصب
وكن حذراً من هواك الجديد فبرق سماء الهوى خلب
ألم تبله في قلوب الحسان يطوف وسرعان ما يذهب
فلا تخدعنك الوعود العذاب فكم مدمع بالهوى يسكب

* * *

شبابي ، يحن إلى روضة معطرة طيرها يصخب
أجوس بأرباضها حالماً وتحت أماليدها ألعب
أودع فيها ثوب الحياة ومن فيض ينبوعها أشرب
ملأت طواف وراء السراب وخاف وهمي لا يتعب
أروح وأغدو بلا مأمل ويا ويح من ليله يحطب
فأين « هناؤي » أين التي على جمر أشواقها ألهب
فيا عدمي أنت أنت المنى ويا عدمي أنت لي مأرب
ويا أيها المترفون اللطاف إلى .. إلى ولا ترهبوا
فلست أهاب انتشاو الحديث وإن أولوه وإن أطنبوا
أسيان من خاض هوج الخطوب شجاعاً إلى موته يركب
ومن عاش في وفرف حالماً يخاف ، ومن ظله يهرب

* * *

«أريب» يا سحر هذي الحروف إذا ينطق القلب يا زينب
أيا كوكباً في سماء الخيال بنير وسرعان ما يغرب
أإشراقة الله في أرضه وكوثره الحلو بل أعذب
مررت بقلبي مرور النسيم فخلفت فيه هوى ينحب
عليكني اليأس هيا اشرقي على فقد لفي الغيهب
أناديك .. هل تسمعين النداء وقد يح صوتي يا زينب

« بغداد ـ أمانة العاصمة » عبد القادر رشيد الناصري